

الباب الثالث

الأحاديث عن نهي الضحك بالفقهه

أ. تخريج الحديث و مراتبه

(1) حَدَّثَنَا أَبُو بَشْرِ بْنُ خَلْفٍ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ الْحَنْفِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنِينٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُكْثِرُوا الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ.

أخرجه البخاري في "الأدب المفرد 253" قال : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَارٍ . و أخرجه " ابن ماجه " في كتاب الزهد باب الحزن والبكاء رقم (4193) وقال في الزوائد : إسناده صحيح رجاله ثقات ¹ , 4193 قال : حَدَّثَنَا أَبُو بَشْرِ بْنُ خَلْفٍ ، بكر بن خلف ، وبكر بن محمد بن بشار ، وبكر بن خلف (قالا : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ الْحَنْفِيُّ ، قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ ، عن إبراهيم بن عبد الله بن حنين ، فذكره² .
و أخرجه القضاعي عن أبي هريرة مرفوعا ، وللعسكري عن أبي هريرة رفعه اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب³ .

¹علي بن حسام الدين المتقي الهندي , كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال , مؤسسة الرسالة : بيروت 1989 م, ج3 ص 876.

²أبي الفضل السيد أبو المعاطي النوري , المسند الجامع , المكتبة الشاملة, ص 339.

³العجلوني إسماعيل بن محمد الجراحي , كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس, دار إحياء التراث

العربي , ج2 ص106.

2) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا بِهِزُ بْنُ حَكِيمٍ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم يقول: وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ فَيَكْذِبُ وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ .

أخرجه أحمد (20270) 5/2 قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَنبَأَنَا مَعْمَرٌ . وفي (20305) 5/5 قال :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ . وفي (20314) 5/5 و (20333) 5/7 قال : حَدَّثَنَا يَزِيدٌ . و أخرجه "الدارمي" 2702 قال : أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ . و أخرجه "أبو داود" 4990 قال : حَدَّثَنَا مُسَدَّدُ بْنُ مُسْرَهَدٍ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى⁴ .

أخرجه "الترمذي" 2315 قال : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ . و"النسائي" في "الكبرى" 11061 قال : أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ حَجْرٍ ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ . وفي (11591) قال : أَخْبَرَنَا سُؤَيْدُ بْنُ نَصْرٍ ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ⁵ .

مرتبته حسن . رواه أبو داود (4990) والنسائي في "التفسير" (146) و (675) والترمذي

(2315) وقال الترمذي : " هذا حديث حسن ."

ب . فهم لغوي (نصي)

1. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُكْثِرُوا الضَّحْكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحْكِ تُمِيتُ الْقُلُوبَ .

⁴أبي الفضل السيد أبو المعاطي النوري، المسند الجامع، ص 435.

⁵نفس المرجع.

(ولا تكثر الضحك (بفتح وكسر وهو كيفية يحصل منها انبساط في القلب مما يعجب الإنسان من السرور ويظهر ذلك في الوجه والإكثار منه مضر بالقلب منهى عنه شرعا وهو من فعل السفهاء والأراذل مورث للأمراض النفسانية⁶ .

و لذا قال (فإن كثرة الضحك تميمت القلب (أي تصيره مغمورا في الظلمات بمنزلة الميت الذي لا ينفع نفسه بنافعة ولا يدفع عنها شيئا من مكروهه وحياته وإشراقه مادة كل خير وموته وظلمته مادة كل شر وبحياته تكون قوته وسمعه وبصره وتصور المعلومات وحقائقها على ما هي عليه ولهذا قال لقمان في سورة ص 125 : لابنه" : يا بني لا تكثر الضحك من غير عجب و لا تمشي من غير أرب و لا تسأل عما لا يعينك و لا تضيع مالك وتصلح مال غيرك فإن مالك ما قدمت ومال غيرك ما أخرت , "و قال موسى للخضر : أوصني فقال : كن بساما ولا تكن غضابا وكن نفاعا ولا تكن ضرارا وانزع عن اللحاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخطائين بخطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران وفي صحف موسى عجا لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجا لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجا لمن أيقن بالقدر كيف ينصب عجا لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها وفي الحديث إيدان بالإذن في قليل الضحك لا سيما لمصلحته⁷.

⁶عبد الرؤوف المناوي ,فيض القدير شرح الجامع الصغير) ,مصر : المكتبة التجارية الكبرى, الطبعة الأولى 1356 , هـ, ج1

ص124.
⁷نفس المرجع . ج 1 ص 125.

حَدِيثٌ : " كَثْرَةُ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ " ، القضاعي من حديث برد بن سنان عن مكحول عن وائلة عن أبي هريرة به مرفوعا ، وللعسكري من حديث جعفر بن سليمان عن أبي طارق عن الحسن عن أبي هريرة رفعه : اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، و أحسن إلى جارك تكن مؤمنا ، و أحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب ، وهو عند ابن ماجه عن أبي هريرة بلفظ : لا تكثروا الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب ، وللدلمي من حديث إبراهيم بن أبي عيلة عن الوليد بن عبد الرحمن عن جبير بن نفيير عن عبد الله بن عمرو مرفوعا : عليكم بصلاة الليل ولو ركعة واحدة ، فإن صلاة الليل منهاة عن الإثم ، وتطفئ غضب الرب تبارك وتعالى ، وتدفع عن أهلها حر النار يوم القيامة ، وإن أبغض الخلق إلى الله ثلاثة : الرجل يكثر النوم بالنهار ولم يصل من الليل شيئا ، والرجل يكثر الأكل ولا يسمى الله على طعامه ولا يحمده ، والرجل يكثر الضحك من غير عجب ، فإن كثرة الضحك تميت القلب وتورث الفقر ، وللطبراني وابن لال من حديث أبي ذر أنه صلى الله عليه وسلم قال له : يا أبا ذر أوصيك نتقوى الله ، وذكر حديثا طويلا فيه : وإياك وكثرة الضحك و عليك بالصمت ، زاد في رواية عند غيرهما : قول جبريل : ما ضحكت منذ خلقت جهنم ، وسبق في : أكتروا ذكر هادم اللذات ، أنه صلى الله عليه وسلم قاله لقوم مر بهم وهم يضحكون ويمرحون ، وسيأتي في : من كثر كلامه قول عمر : من كثر ضحكك قلت هيئته .

و قال عبد الله بن ثعلبة : أتضحك ولعل كفتك قد خرج من القصار وأنت لا تدري ، وقال يحيى بن أبي كثير : قال سليمان بن داود عليهما السلام لابنه : يا بني لا تكثر الغيرة على أهلك فترمي بالشر من أهلك وإن كانت برية ، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تسخف فؤاد الرجل الحليم قال : و عليك

بالخشية فإنها غاية كل شيء ، وعن بشر بن الحارث الحافي أنه قال لرجل ضحك عنده : احذر يا ابن أخي لا يؤاخذك الله على هذا ، وقال محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله تعالى مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا سورة الكهف آية 49 قال : الصغيرة هي الضحك ، أوردها كلها البيهقي ، ومن كلماتهم : الضحك بلا سبب من قلة الأدب ، ول بعضهم : كلما أبديته مباحثة قابلني بالضحك والقهقهة إن كان ضحك المرء من فقهه فالذئب في الصحراء ما أفقهه⁸.

2. أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ فَيَكْذِبُ وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ⁹.

(ويل للذي يحدث فيكذب (في حديثه) ليضحك به القوم ويل له ويل له (كرره إيدانا بشدة هلكته وذلك لأن الكذب وحده رأس كل مدموم وجماع كل فضيحة فإذا انضم إليه استجلاب الضحك الذي يميت القلب ويجلب النسيان ويورث الرعونة كان أقيح القبائح ، ومن ثم قال الحكماء : إيراد المضحكات على سبيل السخف نهاية القباحة¹⁰ .

قال المباركفوري في تحفة الأحوذى : ثم المفهوم منه أنه إذا حدث بحديث صدق ليضحك القوم فلا بأس به كما صدر مثل ذلك من عمر رضي الله تعالى عنه مع النبي صلى الله عليه وسلم حين غضب على بعض أمهات

⁸ نفس المرجع . ج 1 ص 125

⁹ حسن . رواه أبو داود (4990) والنسائي في "ال تفسير (146) " و . (675) والترمذي ، (2315) وقال الترمذي : "هذا حديث

حسن .

¹⁰ فيض القدير شرح الجامع الصغير ، عبد الرؤوف المناوي ، (المكتبة التجارية الكبرى : مصر ، الطبعة الأولى 1356 ، هـ) ، ج 6 ص

368.

المؤمنين . قال الغزالي : وحينئذ ينبغي أن يكون من قبيل مزاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يكون إلا حقاً ولا يؤذي قلباً ولا يفرط فيه . فإن كنت أيها السامع تقتصر عليه أحياناً وعلى الندور فلا حرج عليك¹¹.
ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة ، ويواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو كمن يدور مع الزوج أبداً لينظر إلى رقصهم، ويتمسك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لعائشة رضي الله عنها في النظر إليهم وهم يلعبون¹².

ج. فهم إصطلاحي

1. تعريف الضحك و المزح

ضحك هو الضاد والحاء والكاف قريبٌ من الباب الذي قبله ، وهو دليل الانكشاف والبروز . من ذلك الضَّحِكِ ضَحِكِ الإنسان . ويقال أيضاً ضخم¹³ .
¹⁴ والأوّل أفصح ضحكا و ضحكا انفرجت شفتاه و بدت أسنانه من السرور و منه و به سخر منه و عجب أو فزع و طلع النخلة انشق و تفلق و النخلة أخرجت الضحك و يقال ضحكت الأرض عن النبات أخرجته و ضحك السحاب برق و تالّأ و ضحك الطريق استبان و وضح فهو ضاحك¹⁵ .

¹¹ محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية - بيروت، دون السنة، 6 ص 351.

¹² نفس المرجع، 6 ص 352.

¹³ أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا، مقاييس اللغة، الناشر: اتحاد الكتاب العرب 1423 هـ، 2002 م - م، ج 3 ص 308.

¹⁴ و يقال أيضا: "الضحك"، بابكسر، و بكسرتين.

¹⁵ إبراهيم مصطفى و أحمد الزيات و حامد عبد القادر و محمد النجار، المعجم الوسيط، المكتبة الشاملة، ج 1 ص 1108.

و الضَّاحِكَةُ : كلُّ سِنَّ تَبْدُو مِنْ مُقَدِّمِ الْأَسْنَانِ وَالْأَضْرَاسِ عِنْدَ الضَّحِكِ . قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : الضَّاحِكُ مِنَ السَّحَابِ مِثْلُ الْعَارِضِ ، إِلَّا أَنَّهُ إِذَا بَرَقَ يُقَالُ فِيهِ ضَحِكٌ . وَالضَّحُوكُ : الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ . وَيُقَالُ أَضْحَكَتْ حَوْضَكَ ، إِذَا مَلَأْتَهُ حَتَّى يَفِيضَ . قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : الضَّاحِكُ حَجْرٌ شَدِيدُ الْبَرِيقِ يَبْدُو فِي الْجَبَلِ ، أَيْ لَوْنٌ كَانَ . وَيُقَالُ فِي بَابِ الضَّحِكِ : الْأَضْحُوكَةُ مَا يُضْحِكُ مِنْهُ . وَرَجُلٌ ضُحِكَ : يُضْحِكُ مِنْهُ . وَضُحِكَ : يَكْثُرُ الضَّحِكُ . فَأَمَّا الضَّحِكُ فَيُقَالُ إِنَّهُ الْعَسَلُ . وَيُنْشَدُ :

فَجَاءَ بَمَزْجٍ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ هُوَ الضَّحِكُ إِلَّا أَنَّهُ عَمَلُ النَّحْلِ ، وَ يُقَالُ هُوَ الْبَلْحُ ، قَالَ الشَّيْبَانِيُّ : الطَّلَعُ هُوَ الْكَافُورُ وَ الضَّحِكُ جَمِيعًا حِينَ يَنْفَتِقُ¹⁶ .

الضَّحِكُ مَعْرُوفٌ ضَحِكٌ يَضْحَكُ ضَحِكًا وَضِحْكًا وَضَحِكًا أَرْبَعُ لُغَاتٍ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ وَلَوْ قِيلَ ضَحِكًا لَكَانَ قِيَاسًا لِأَنَّ مَصْدَرَ فَعَلٍ فَعَلٌ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ وَقَدْ جَاءَتْ أَحْرَفٌ مِنَ الْمَصَادِرِ عَلَى فَعَلٍ مِنْهَا ضَحِكٌ ضَحِكًا وَضَحِكْتُ بِهِ وَمِنْهُ بِمَعْنَى وَتَضَاحَكَ الرَّجُلُ وَاسْتَضَحَكَ بِمَعْنَى وَأَضْحَكَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَالْأَضْحُوكَةُ مَا يُضْحِكُ بِهِ وَامْرَأَةٌ مَضْحَاكٌ كَثِيرَةُ الضَّحِكِ قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ الضَّاحِكُ مِنَ السَّحَابِ مِثْلُ الْعَارِضِ إِلَّا أَنَّهُ إِذَا بَرَقَ قِيلَ ضَحِكٌ وَالضَّحَاكُ مَدْحٌ وَالضُّحُكَةُ دَمٌّ وَالضُّحُكَةُ أَدَمٌ¹⁷ .

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلضَّحِكِ فَهُوَ فِي اللُّغَةِ : مَصْدَرُ ضَحِكٍ ، وَتَعْرِيفُهُ : انْبِسَاطُ الْوَجْهِ وَبَدْوُ الْأَسْنَانِ ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّبَسُّمِ ، أَنَّ التَّبَسُّمَ هُوَ مَبَادِيءُ الضَّحِكِ ، فَأَوَّلُ الضَّحِكِ يَكُونُ تَبَسُّمًا ، وَيَكُونُ غَالِبًا لِلسَّرُورِ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ

¹⁶أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، ج3 ص 309.

¹⁷محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، لسان العرب، (دار صادر : بيروت، الطبعة الأولى)، ج10 ص459.

سبحانه وتعالى في الضحك ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ عيس: 38-39) و الضحك أعم من التبسم، فكل تبسمٍ ضحك، وليس كل ضحكٍ تبسماً¹⁸.

ولذلك قال ابن حجر رحمه الله: فإن كان بصوتٍ بحيث يُسمع من بعدٍ فهو القهقهة، وإلا فهو الضحك؛ وإن كان بلا صوتٍ فهو التبسم، وتسمى الأسنان في مقدم الفم الضواحك، وهي الثنايا والأنياب وما يليها، وتسمى النواجذ وهي التي تظهر عند الضحك¹⁹.

الضحك هو شكل من أشكال التعبير الصريح عن التسلية والمرح، ومشاعر أخرى أحياناً. الضحك هو رد فعل طبيعي للإنسان السليم علي المواقف المضحكة كما يمكن ان يكون وسيلة دفاع ضد مواقف الخوف العفوية. و الضحك يعد تعبير عن التعاطف والتفاهم المتبادل بين البشر، وهو احدي وسائل التواصل البشري علي مدى التاريخ.

-مزح هو المَزْحُ الدُّعَابَةُ و في المحكم المَزْحُ نقيضُ الجِدِّ مَزَحَ يَمَزَحُ مَزْحًا وَمِزَاحًا وَمُزَاحًا وَمُزَاحَةً²⁰ .
 ومزاحة « بضم الميم كما ضبطه المجد وفتحها الفيومي نقل شارح القاموس ان المزاح المباشطة إلى الغير على جهة التلطف والاستعطاف دون أذية (وقد مازحه مُمَازِحَةً وَمِزَاحًا والاسم المِزَاح بالضم والمُزَاحَةُ أيضاً وأرى أبا حنيفة حكى أَمْزَحَ كَرَمَكَ بقطع الألف بمعنى عَرَّشَهُ الجوهري المِزَاح بالكسر مصدر مازحه وهما يَتَمَازِحَانِ الأزهري المَزْحُ من الرجال الخارجون من طَبَعِ الثُّقَلَاءِ المتميزون من طبع البُغَضَاءِ²¹.

¹⁸أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، ص 392.

¹⁹إبن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري (، بيروت: مصر، 773 852 هـ)، ص 148.

²⁰محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، لسان العرب، ج2 ص 593 .

²¹نفس المرجع.

الفرق بين المزاح والاستهزاء : أن المزاح لا يقتضي تحقير من يمازحه ولا إعتقاد ذلك ألا ترى أن التابع يمازح المتبوع من الرؤساء والملوك ولا يقتضي ذلك تحقيرهم ولا إعتقاد تحقيرهم ولكن يقتضي الاستئناس بهم على ما ذكرناه في أول الكتاب ، والاستهزاء يقتضي تحقير الاستهزاء به واعتقاد تحقيره²².

أما بالنسبة للضحك فهو صفة لله تعالى، فإنه عز وجل يضحك ، كما جاء في أحاديث كثيرة، كقول النبي صلى الله عليه وسلم : يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيسلم فيقاتل في سبيل الله فيستشهد (رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم).
و قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد) : أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول فلا يلفتون وجوههم حتى يُقتلوا، أولئك يتلبطون في الغرف العلاء من الجنة، يضحك إليهم ربك، فإذا ضحك ربك إلى عبدٍ في موطنٍ فلا حساب عليه²³).

كذلك أخبر النبي صلى الله عليه وسلم) : أن الله ضحك من صنع فلانٍ وفلانة لما آثرا الضيف فقدا له طعام الأطفال، وباتا هما وأولادهما جائعين .. (إلى غير ذلك من النصوص الشرعية التي فيها إثبات الضحك، وهو صفة لله عز وجل نثبتها له كما يليق بجلاله وعظمته، ولا نحرفها ولا نلعب بها، ولا نقول: الضحك بمعنى الرضا، صحيح أن الله إذا ضحك من شيء فهو يدل على رضاه سبحانه وتعالى، لكن ليس الضحك هو الرضا، وإنما من آثار صفة الضحك الرضا²⁴.

²²الشيخ عبد الغني الدقر، معجم القواعد العربية، مكتبة مشكاة الإسلامية، المكتبة الشاملة، ج 2 ص 70.

²³أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة - القاهرة، دون السنة، ج 1 ص 305.

²⁴ابن بطة العكبري، الإبانة الكبرى لابن بطة، موقع جامع الحديث، المكتبة الشاملة، ج 1 ص 351.

2. فوائد الضحك و تأثيرها على صحة الإنسان

أجمل شيء في الضحك هو أنك لا تحتاج سبب لكي تضحك، فعليك أن تبدأ به على الفور فهو يرفع من قيمة الحياة والروح المعنوية ويجعلك تحب كل شيء من حولك، ويعطيك الشعور بالراحة والاسترخاء. كما أنه يقلل من الضغوط والعنف والغضب ويمكننا القول بأنه علاج وقائي يمنع من الإصابة بالعديد من الأمراض العضوية والنفسية .

فوائد الضحك أيضا لصحة القلب ،الضحك وصحة قلبك، الضحك مفيد للقلب. اجريت دراستان في الاجتماع الطبيّ السنوي في الكليّة الأمريكية للألعاب الرياضية في سياتل وجدتا بأن الضحك لا يساعد على خفض الإجهاد، الذي يمكن أن يتلف القلب، بل ويمكن أن يحسن مجرى الدم، الأمر الذي يساعد على تجنب ضغطِ الدّمِ العالِي²⁵ .

هذا وقد تضمّنت الدراسة مجموعتان من البالغين الذين يتمتعون بالصحة وطلب من كل مجموعة مشاهدة فلم كوميدي أو فلم وثائقي. ثمّ تمّ فحصهم من لتحديد نشاط الشرايين السباتية (الشرايين الرئيسية) في الرقبة التي ترسل الدم إلى الدماغ والوجه أثناء عرض الأفلام.

الناس الذين شاهدوا الفلم الكوميدي كانت شرايينهم توزع الدم بطريقة جيدة. بينما يرتبط توزيع الدم السيئ في أغلب الأحيان بارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب، وفقاً للكليّة الأمريكية للطبّ. تقول الباحثة الرئيسية جون سوكوارا. بأن توزيع الدم في الشرايين الرئيسية تحسن لمدة 24 ساعة بعد مشاهدة الفلم

²⁵أبو طلحة محمد يونس بن عبد الستار ,شفاء الروح للمريض و المجرّوح) ,نزيل المدينة المنورة, دون المكان و السنة), ص 155.

الكوميدي. "الضحك ليس الحل الوحيد للصحة القلبية، ولكنه يحمل آثار إيجابية تساهم في تعزيز توزيع الدم في الجسم، وهذا أمر صحي ومفيد²⁶."

فقد ركزت على الوظيفة الوعائية وتوسع الأوعية الدموية. عندما طلب من مجموعة البالغين مشاهدة فلم كوميدي أو وثائقي جدّي، كان هناك توسع أكثر في الأوعية الدموية أثناء عرض الفلم الكوميديا. الأوعية الدموية المتقلّصة يمكن أن تكون سبب ارتفاع ضغط الدم²⁷.

يقول تاكاشي تارومي، باحث في الدراسة الثانية، بأن مشاهدة الفلم الكوميدي لم تكن مفيدة للقلب فقط، بل أظهرت سلبيات مشاهدة فلم وثائقي عن أحداث حزينة، التي ظهرت على شكل تأثيرات سلبية على الشرايين الناقلة للدم. وفقا للبحث فقد قلصت الأفلام الوثائقية الكئيبة الشرايين بنسبة 18 بالمائة. في كلا الدراساتين تبين أن للضحك فوائد صحية عديدة يمكن أن تدوم لمدة 24 ساعة²⁸.

شيء جميل أن تكون قد ضحكت لأن كثيرا من الناس يأخذون الحياة على محمل الجد. لكن من يضحكون هم الذين يتمتعون بحالة صحية أفضل، فالضحك يساعدهم على التحرر من ضغوط الحياة وأعبائها. و في هذا السياق يقول الطبيب النفسي ميشيل تيتسه وهو رئيس رابطة تعرف باسم "هيومر كير" في توتلينجين بألمانيا وباحث في الضحك بأنه أثناء الضحك "تسترخي العضلات والنتيجة النهائية دورة دموية أفضل للعضلات". و يفيد الضحك أيضا في تفتيت هرمونات الإجهاد وبناء الهرمونات المرتبطة بالسعادة. كما يساعد على زيادة قدرة الجهاز المناعي للأوعية الدموية وبالتالي الوقاية من أمراض القلب. كما يساهم الضحك

²⁶ نفس المرجع، ص 157.

²⁷ مد أمين شيخو، الدواء العجيب، دار النور البشير، سوريا - دمشق، دون السنة، ص 363.

²⁸ نفس المرجع، ص 364.

في زيادة مادة الإميونوجلوبين التي تحتوي على أجسام مضادة و تكون موجودة في اللعاب وهي التي تقمع الهجمات الجرثومية على الجهاز التنفسي²⁹.

و يقول تيتسه : " إن الضحك مع أشياء أخرى يوتر عضلات العينين وينشط العواطف الإيجابية في المخ". و يعتقد كذلك أن الذين يتمتعون بروح الدعابة لا يعيشون حياة صحية أفضل وحسب، بل تكون لديهم قدرة أفضل على حل النزاعات بحسب دويتشه فيله. غير أنه و في ظل ضغط الحياة اليومية يكاد يصعب إطلاق ضحكة جميلة، الأمر الذي يدفع بالكثيرين إلى الانتساب إلى أندية متخصصة بالضحك³⁰.

و في هذا الإطار ترى ميشيلا شيفنر، رئيسة الرابطة الألمانية لأطباء العلاج بيوجا الضحك ومقرها ميونيخ، ضرورة أن يكون الض

3. الضرر و العيوب من الضحك للإنسان

الأصل في المسلم أن يكون جاداً، إذ لم يخلق في هذه الدنيا للعبث واللعب، والمزاح قد يخرج المرء عن الواجب الذي خلق له، ومن هنا ذم المزاح، إنما ذم لما يؤدي إليه من كذب أو ترويع أو استهزاء أو غفلة عن الله وذكوره.

قال صلى الله عليه وسلم: (لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدة فتخلفه) (ضعيف أخرجه الترمذي³²).

و المقصود بالنهي كما قال العلماء الإفراط والمداومة³³ :

²⁹الدكتور نبيل صبحي الطويل , الأمراض النسبية, مؤسسة الرسالة, دون السنة, 1975, (1395 - ص 58).

³⁰أبو طلحة محمد يونس بن عبد الستار ,شفاء الروح للمريض و المجروح ,ص 160.

³¹الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل بن أبي علي البعلبي الخنبلي الدمشقي ,أربعون بابا في الطب) , دار

إبن كثير : دمشق - بيروت, 709 645 - هـ), ص 92.

³²محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ,الجامع الصحيح سنن الترمذي, دار إحياء التراث العربي - بيروت, دون السنة), ج4

³³إبن قيم الجوزية ,الطب النبوي), دار الكر : بيروت, 751 691 - هـ), ص 337.

- الإفراط في المزاح يؤدي إلى كثرة الضحك التي تميمت القلب. و في الحديث عند الترمذي وغيره وفيه فقال: "ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميمت القلب³⁴ ."
- نظر وهيب بن الورد إلى قوم يضحكون في عيد فطر فقال: إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين، وإن كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين .
- المزاح يؤدي إلى الغفلة، والمسلم يحتاج إلى قلب حي لا تتسرب الغفلة إليه فيجس صراعه مع الشيطان فقد أقسم الشيطان على غوايتنا كما قال الله تعالى: "فبعزتكم لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين³⁵ ."
- والغفلة هي صفة الكافرين، قال الله تعالى: "فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في حوض يلعبون"³⁶. "فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون"³⁷. ثم ذرهم في حوض يلعبون³⁸. و في يوم القيامة يقال لهم "ما سلككم في سقر"³⁹ .
- و هذه الغفلة حذر منها السلف أشد الحذر، فكان أبو يعلى يقول: (أتضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار).

³⁴ رواه الترمذي ح2305، وابن ماجه ح4193، وأحمد ح7748.

³⁵ص:83-84.

³⁶الطور:11-12 .

³⁷الزخرف:83 .

³⁸الأنعام:91.

³⁹المدثر:42.

و قال محمد بن واسع : "إذا رأيت رجلاً في الجنة ويكي ألسنت تعجب من مكانه؟ قيل: بلى.

قال: فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ماذا يصير هو أعجب منه."

- و قد يؤدي المزاح حال كثرته إلى قلة الهيبة أو اجتراء السفهاء على المازح، قال عمر

رضي الله عنه : "من مزح استخف به". و قال محمد بن المنكدر : قالت لي أمي: يا بني لا

تمازح الصبيان فتهون عندهم. و عن سعيد بن العاص أنه قال: "لا تمازح الشريف فيحقد

عليك، ولا الديء فيجتري عليك". و قال الحسين بن عبد الرحمن : كان يقال: المزاح مسلبة

للبهاء، مقطعة للصدقة .

- و قد يسبب المزاح شيئاً من الضغينة فيكون مذموماً، قال عمر بن عبد العزيز: "اتقوا الله

وإياكم المزاح فإنه يورث الضغينة ويجر إلى القبيح، فحدثوا بالقرآن وتجالسوا به، فإن ثقل

عليكم فحديث حسن من حديث الرجال". قال خالد بن صفوان: كان يقال: لكل شيء

بذر، و بذر العداوة المزاح. و قال الحسين بن عبد الرحمن : كان يقال: المزاح مسلبة للبهاء،

مقطعة للصدقة .

4. الضحك من الناحية الدينية

ما هو موقف الدين الإسلامي من الضحك والمرح والمزاح؟ وهل يجوز للمسلم أن يضحك ويمزح ،

ويفرح ويمرح ، وتصدر عنه النكات والطرائف والملح ، بالقول أو بالفعل ، فيضحك الآخريين ؟

إن بعض الناس تكونت لديه فكرة: أن الدين يحرم على الإنسان الضحك والمزاح والتنكيت والمداعبة ، ويفرض عليه الجد والصرامة في كل أحواله. ويؤيدون هذا الاعتقاد بأمرين⁴⁰ :

الأول: موقف كثير من المتدينين ، أو المتحمسين للدين ، حيث لا يرى أحدهم إلا مقطب الجبين ، عبوس الوجه ، متجهماً عند اللقاء ، خشناً في الكلام ، فظاً في المعاملة مع الناس ، وخصوصاً غير المتدينين. حتى حسب بعض الناس أن هذه هي طبيعة الدين والتدين .

والثاني: بعض النصوص ، التي قرؤها أو سمعها من بعض الوعاظ والخطباء ، ففهموا منها أن الإسلام لا يرحب بالضحك والفرح والمزاح ، مثل حديث "لا تكثر من الضحك ، فإن كثرة الضحك تميت القلب"⁴¹.

(1) حكم الضحك

للضحك فلا شك أن الإكثار منه مذموم شرعاً، ولذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث (الكسوف): ما أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته، يا أمة محمد! والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً⁴².

إذاً: حال المؤمن الجاد المتصل قلبه بالله، المستحضر لعظمته سبحانه وتعالى، الذي يتذكر ما في اليوم الآخر وما يحدث يوم القيامة من الأهوال، ويعرف شدة عذاب النار لا يكتر من الضحك، فإننا ما خلقنا للضحك واللهو واللعب، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم مبيناً

⁴⁰أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، (الطب النبوي)، دار إحياء العلوم: بيروت، دون السنة، ص 326.

⁴¹أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" 253 قال: حدّثنا محمد بن بشار. وأخرجه ابن ماجه "في كتاب الزهد باب الحزن والبكاء

رقم (4193) وقال في الزوائد : إسناده صحيح رجاله ثقات. 4193

⁴²أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، مصنف عبد الرزاق، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، (1403)، ج 10 ص

حكم كثرة الضحك وهو يوصي أبا هريرة) : كن ورعاً تكن أعبد الناس، وكن قنعاً تكن أشكر الناس، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً، وأقلّ الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب⁴³.

هذا الحديث يبين حكم الضحك، حتى ذكر ابن النحاس رحمه الله في كتابه العظيم تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين ، قال في تعداد الصغائر -لأنه ذكر فصلاً يتعلق بالكبائر وفصلاً يتعلق بالصغائر- ومنها -من الصغائر- : كثرة الضحك بلا سبب، كذا عدها العلماء من الصغائر، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: إياك وكثرة الضحك! فإنه يميت القلب ،⁴⁴ (وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وهو خير البشر متصلاً قلبه بربه، فكان لا يُكثر من الضحك، ولا يقهقه كما يفعل كثيرٌ من الناس، بل كان عليه الصلاة والسلام وقوراً مترناً هادئاً، فقد جاء في صحيح مسلم ،عن جابر بن سمرة) : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان طويل الصمت، قليل الضحك⁴⁵ (و هاتان صفتان ينبغي أن يتخلق بهما المسلم الجاد، ولا شك أن هذا يعود إلى تقدير وتذكر ما خلق الإنسان من أجله ﴿ : أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ المؤمنون:115) وتصف عائشة رضي الله عنها

⁴³ محمد أنور شاه ابن معظم شاه الكشميري، العرف الشدي شرح سنن الترمذي، المدقق مؤسسة ضحى للنشر والتوزيع، دون المكان و السنة)، ج 1 ص 480.

⁴⁴ ملف وورد أهده بعض الأخوة للبرنامج، شرح البخاري لابن بطال، المكتبة الشاملة، ج 17 ص 337.

⁴⁵ عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج 1 ص 162.

ضحك النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء في صحيح الإمام البخاري ، قالت) : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكاً حتى أرى منه لهواته، وإنما كان يتبسم⁴⁶.
 وجاء في رواية أخرى) : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعاً ضاحكاً قط حتى ترى لهواته .(واللهاءة : شيء في الفم، تظهر إذا أغرق الإنسان في الضحك، فانفتح فمه من شدته، فتظهر هذه اللهوات، ولذلك فإن الإقلال منه والاقتصاد وجعل أكثره تبسماً هو السنة⁴⁷.

وكذلك فإن الضحك منه ما يكون كفرةً كما إذا اشتمل على استهزاءٍ بشيءٍ مما أنزله الله سبحانه وتعالى، فإذا ضحك سخرية مما أنزله الله، أو من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، أو من شخص النبي صلى الله عليه وسلم فلا شك أنه كافر، وقد أتاك نبأ الكفار من قريش لما اجتمعوا عند الكعبة والنبي صلى الله عليه وسلم قائمٌ يصلي، قال قائلٌ منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرأئي -انظر كيف يصفون النبي صلى الله عليه وسلم- أيكم يقوم إلى جزور آل فلان فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به، ثم يمهل حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه؟ فانبعث أشقاهم -أشقى القوم -ابن أبي معيط ، فلما سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه بين

⁴⁶بدر الدين العيني الحنفي، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، مللتقى أهل الحديث، تاريخ التعديل 19 : ربيع الأول 1427 هـ،

ج32 ص 283.

⁴⁷أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة : بيروت، (1379 ، ج1

ص 223.

كتفيه، وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ساجداً، فضحكوا حتى مال بعضهم على بعضٍ من الضحك⁴⁸.

وفي رواية للبخاري أيضاً: فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعض حتى جاءت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم فأزالته عن ظهره، ثم أقبلت عليهم تسبهم من شجاعتها بالرغم من صغرها رضي الله عنها.

ومن الأمور المتعلقة بآداب الضحك: أنه لا يجوز الكذب لإضحاك الناس، كما يفعل كثير من المضحكين الذين همهم إضحاك القوم، فإنهم يكذبون لأجل ذلك، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الحسن الذي رواه أحمد والترمذي وغيرهما: "ويلٌ للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويلٌ له ويلٌ له"⁴⁹.

وبهذا تعلمون شيئاً من الأضرار الشرعية الناجمة عما يسمونه اليوم في عالم الفن والمسرحيات (بالكوميديا) الذي من أجله يعملون الأفلام والمسرحيات المضحكة، والغرض منها إضحاك الناس؛ فيكذبون لأجل ذلك، وكثيراً ما يستهزئون بالدين، أو بأسماء الله سبحانه وتعالى، يحرفون فيها، أو يلمزون المطوعين من المؤمنين من عباد الله الصالحين، ولا شك أن هذا كفر⁵⁰.

⁴⁸ نفس المرجع، ج 1 ص 225.

⁴⁹ محمد أنور شاه ابن معظم شاه الكشميري، العرف الشدي شرح سنن الترمذي، مؤسسة ضحى للنشر والتوزيع، الهندي، دون

السنة، ج 3 ص 234..

⁵⁰ أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، مصنف عبد الرزاق، ج 2 ص 365 .

كثير من المسرحيات التي صدرت مؤخراً فيها هذا الكفر وهي في قالب (الكوميديا)، ثم لو قلنا: إنها لا تشتمل على الكفر فهي تشتمل على الكذب، فإن فيها كثيراً من الكذب، ثم إن قلنا: إنها سالمة من الكذب، فإن مبنائها على إضحاك الناس ضحكاً متوالياً حتى أن بعضهم من شدة الضحك قد يُلقى على الأرض، وتعلو أصوات القهقهات من المتفرجين، فهي تقسي قلوب جميع الناظرين إليها، ولا شك أن كثرة الضحك تميمت القلب.

وبذلك نعلم مخالفة هذه المسرحيات والأفلام الكوميديّة لآداب الشريعة الإسلامية، ولذلك يقوم القائم منها وبطنه موجوعٌ من شدة الضحك، وقد علا قلبه غلافٌ سميكٌ من الران والغفلة التي نجمت عن مشاهدة هذا الفيلم أو المسرحية، وما عهد أن النبي صلى الله عليه وسلم أو أحداً من أصحابه كانوا يجلسون مجلساً كله ضحك، من أوله إلى آخره، يجمعون به سائر الطرف وسائر الأشياء المضحكة ويعملون مجلساً للضحك، فهذا يُعلم بأن هذه الأشياء كثيرٌ منها محرم والباقي مكروه⁵¹.

(2) صفة ضحك النبي صلى الله عليه وسلم

فقد جاء في الحديث الصحيح عن عبد الله بن الحارث بن جزء رضي الله عنه أنه قال: ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، (ومن طريقٍ أخرى عنه قال): ما كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبسماً⁵²، (وعن جابر بن عبد الله

⁵¹ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج 1 ص 230.

⁵² الملا على القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المكتبة الشاملة، ج 14 ص 17.

رضي الله عنه قال) : ما حجني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت، لا رأني إلا ضحك⁵³ (أي : تبسم، لأن تبسمك في وجه أخيك صدقة، وقد قلنا سابقاً: إن الضحك يُطلق على التبسم، وإن كل تبسم في اللغة هو ضحك، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أفصح خلق الله، وأعذبهم كلاماً، وأسرعهم أداءً، وأحلامهم منطقاً، قال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد في فصلٍ يتعلق بهديه صلى الله عليه وسلم في كلامه وسكوته وضحكه: "وكان يضحك مما يضحك منه، وهو مما يُتعجب من مثله ويستغرب"، كان يضحك من الشيء الذي يدعو للضحك، لكن كان غالب ضحكه عليه الصلاة والسلام تبسماً، والأشياء التي يضحك منها فسرّها رحمه الله بقوله: "وهو مما يتعجب من مثله ويستغرب"، وستأتي شواهد لهذا⁵⁴.

وعقد الترمذي رحمه الله في كتاب الشمائل المحمدية : باب ما جاء في ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد تقدم ذكر بعض الأحاديث الصحيحة منه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم مما جاء عنه أنه ربما جلس في مجلسٍ وفيه بعض أصحابه، فذكروا أشياء مما يضحك منها فتبسم صلى الله عليه وسلم، كما جاء في صحيح مسلم : عن سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن سمرة) : أكنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم كثيراً، كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح أو الغداة حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت

⁵³ أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي : بيروت، الطبعة

الطبعة الثانية، (1392)، ج 16 ص 34.

⁵⁴ نفس المرجع، ج 16 ص 40.

الشمس قام، وكانوا يتحدثون (أي: حصل في بعض المجالس أنهم كانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم⁵⁵).

مثال على هذه الأشياء: أنه ربما ذكروا قصة الرجل الذي كان يجعل صنماً من تمرٍ يزعم أنه إلهه فأينما حل وارتحل جعله معه، وأنزله معه يسجد له، فإذا جاع أكل منه، فهذا مما كان يتبسم منه صلى الله عليه وسلم، وربما كان في بعض أصحابه أناس من الظرفاء الذين عندهم طبعٌ فيه مزاحٌ وظرفٌ، فكان عليه الصلاة والسلام يضحك مما يحصل منهم من هذه الظرف، كما جاء في صحيح البخاري من حديث عمر بن الخطاب على عهد النبي صلى الله عليه وسلم: أن رجلاً كان اسمه عبد الله وكان يلقب حماراً، وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم) فإذا وجد في طلاب أو جلساء العالم من عنده روح الدعابة والطفرة، فإذا حصل عند العالم أو هذا الشخص القدوة شيءٌ من الضيق أدخل على نفسه شيئاً من السرور بإضحائه بحق، وهذا لا بأس به⁵⁶.

(ج) بعض كلام العلماء في الضحك

ومما أورده أهل العلم في الضحك :

- كلام الإمام الماوردي في الضحك

⁵⁵ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، الاستذكار، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، (2000 - 1421)،

ج 6 ص 168. ⁵⁶ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري 16، ص 191.

ما قاله الإمام الماوردي رحمه الله في كتاب: أدب الدنيا والدين تحت عنوان: (آفة الضحك) قال: "وأما الضحك فإن اعتياده شاغلٌ عن النظر في الأمور المهمة"، أي: أن الإنسان الذي يكثر الضحك إنسان غير جاد، وكثرة الضحك من علامات عدم الجدبة المطلوبة من المسلم⁵⁷.

وقال في مفاصد الضحك: "و الإكثار منه مذهلٌ عن الفكر في النوائب الملمة"، أي: إذا نزل بالإنسان نائبة ملمة وصار يُكثر من الضحك، لم يستطع فكره أن يجتمع لأجل مواجهتها، "وليس لمن أكثر منه هيبةٌ ولا وقار"، وهذه مضرة ثانية، فالشخص المكثّر من الضحك يزول وقاره وهيئته من نفوس الناس، ولذلك يجترئون عليه، لما صار مكثراً للضحك، وتسقط هيئته من قلوب الناس، ولا شك أن هذه السلبيّة قاتلة لأثر الداعية على الآخرين، فإن الداعية لا ينبغي أن يكون من المكثرين من الضحك، فإن كثرة الضحك منه تزيل أثر كلامه أو لا تجعل لكلامه أثراً ووقعاً في قلوب الناس، وغاية ما يكون مع المدعو أنه يتندر معه ويأتي بالطرف.. ونحو ذلك⁵⁸.

روى أبو إدريس الخولاني، عن أبي ذر الغفاري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه)، (وروي عن ابن عباس في قوله

⁵⁷الإمام أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب الموردي، قوانين الوزارة و سياسة الملك، دار الطالعة، بيروت - لبنان، 1979، ص

⁵⁸نفس المرجع، ص 124.

تعالى ﴿ مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ الكهف:49) قال :
(الصغيرة الضحك، والكبيرة القهقهة).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه) :من كثر ضحكه قلت هيئته⁵⁹.

وقال علي بن أبي طالب) : إذا ضحك العالم ضحكة مج من العلم مجة ،(وقيل في منشور
الحكم: ضحكة المؤمن غفلة في قلبه⁶⁰.

والقول في الضحك كالقول في المزاح: إن تجافاه الإنسان بالكلية -لا يضحك أبداً- نفر عنه
وأوحش منه، وإن ألفه .. دائماً يضحك، كان حاله ما وصفناه، أي: من عدم الهيبة والوقار،
وعدم اجتماع الفكر للأشياء المهمة، وأنه يلهي عن الأشغال والأمور المهمة⁶¹.

قال: "فليكن بدل الضحك عند الإيناس تبسماً وبشرة، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :
(التبسم دعاية ،(وهذا أبلغ في الإيناس من الضحك -لأن التبسم يؤنس الشخص أكثر من
الضحك- الذي قد يكون استهزاءً وتعجباً، وليس ينكر منه المرة النادرة"، كمن يضحك
نادراً، لا بأس لطارئٍ استغفل النفس عن دفعه، فبعض الأحيان تهجم الضحكة فلا يستطيع
مدافعتها فهي تأتي فجأةً.

⁵⁹عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة الأولى، (1356)، ج3 ص76.

⁶⁰نفس المرجع، ج3 ص78.

⁶¹الملا على القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المكتبة الشاملة، ج14 ص137.

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أملك الخلق لنفسه قد تبسم حتى بدت نواجذه،
وإنما كان ذلك منه صلى الله عليه وسلم على الوجه الذي ذكرناه⁶².

- كلام الإمام الذهبي في الضحك

هناك تعليق لطيف للذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء في ترجمة يحيى بن حماد رحمه الله تعالى، قال: قال محمد بن النعمان بن عبد السلام : لم أر أعبد من يحيى بن حماد وأظنه لم يضحك، قلت - الذهبي : - الضحك اليسير والتبسم أفضل، وعدم ذلك من مشايخ العلم على قسمين، فالمشايخ الذين لا يضحكون ويتسمون⁶³.

أحدهما: يكون فاضلاً لمن تركه أدباً وخوفاً من الله، وحزناً على نفسه المسكينة، فإذا كان هذا لا يضحك خوفاً من الله وحزناً على نفسه المسكينة فهذا معه الحق.
والثاني: مذموم لمن فعله حمقاً وكبراً وتصنعاً .

إذاً: الذي يتصنع عدم الضحك ويريد بذلك وقاراً دائماً.. ونحو ذلك، وربما صنعه كبراً، أي أنه لا يضحك مما يضحك منه الناس، ومما يتندر منه، ومن الأشياء الطريفة بالحق، ويزعم أنه لا يتأثر بها فلا يبدي أي نوع من أنواع الابتسامة فهذا إنسان متصنع للهيبة والوقار، وتصنعه
ممجوج مذموم⁶⁴.

⁶²الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير، (دار النشر / مكتبة الإمام الشافعي : الرياض ، 1408هـ - 1988م) ، ج 1 ص 758.

⁶³عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج 6 ص 501.

⁶⁴نفس المرجع، ج 6 ص 502.

إذاً: التكلف الموجود في بعض النفوس من عدم الضحك زعماً للوقار تطرفٌ مقيتٌ، كما أن من أكثر الضحك استخف به - ما صار له قيمة عند الناس - ولا ريب أن الضحك في الشباب أخف منه وأعذر في الشيوخ، هذه فائدة أخرى، أي: أنه ينبغي على من تقدمت به السن أن يراعي سنه وقربه من القبر، وأن الشاب ربما كان فيه من المرح وطبيعة روح الشباب ما يجعله يقع في هذا، لكن الشيخ الكبير لا ينبغي له الإكثار مثلما يقع من الشاب، ليس بنفس الدرجة هذا حكم السن⁶⁵.

قال: "وأما التبسم وطلاقة الوجه فأرفع من ذلك كله"، أي: التبسم وطلاقة الوجه لا علاقة لها بمسألة القهقهة والإغراق في الضحك، التبسم وطلاقة الوجه سنة، وإدامة التبسم سنة، "قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: تبسمك في وجه أخيك صدقة، (وقال جرير): ما رأني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبسم (فهذا هو خلق الإسلام، فأعلى المقامات من كان بكاءً بالليل، بساماً بالنهار"، هذه عبارة في غاية الجودة، فأعلى مقامات المسلم من كان بكاءً بالليل بساماً بالنهار، هذا هو المطلوب⁶⁶.

وقال رحمه الله: "إذا كان الإنسان طبعه مرح -طبعه أنه يكثر من الضحك- ينبغي أن يقصر من ذلك"، لا يقول هذا طبعي اقبلوني على ما أنا عليه، ولا تلوموني، لا. بل ينبغي عليه أن يعالج نفسه ويجاهدها.. ينبغي لمن كان ضحوكاً بساماً أن يقصر من ذلك ويلوم نفسه حتى لا

⁶⁵ نفس المرجع، ج6 ص 503.

⁶⁶ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، وزارة عموم الأوقاف والشؤون

الإسلامية - المغرب، (1387)، ج22 ص12.

تمجده الأنفس، وينبغي لمن كان عبوساً منقبضاً أن يتبسم، هذه عبارات تربوية من الإمام
الذهبي رحمه الله⁶⁷.

(د) ضحك الأنبياء و الصالحين

الأنبياء عليهم السلام كان لهم أدبٌ في الضحك، رأى النبي عليه الصلاة والسلام آدم وعن
يمينه أسودة وعن يمينه أسودة، فسأل عن ذلك؟ فقال جبريل: هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه
وشماله نسمة بنيه، فأهل اليمين منهم هم أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر
عن يمينه ضحك، -أي: أن آدم مسرور أن هناك من ذريته بعض العدد يدخلون الجنة- وإذا
نظر قبال شماله بكى⁶⁸.

وكذلك الرجل الصالح الذي يضربه الدجال فيقلقه نصفين، وهو رجل مؤمن، شاب من أهل
المدينة، من خيرة أهل الأرض، ومن أفضل الشهداء في ذلك المشهد، فإذا أرجعه الدجال مرة
أخرى يُقبلُ ووجهه يتهلل ضاحكاً⁶⁹.

(هـ) علاج كثرة الضحك

علاج كثرة الضحك يكون بأمر، منها⁷⁰:

- أولاً: الإكثار من ذكر الله عز وجل.

⁶⁷ نفس المرجع، ج 22 ص 15 .

⁶⁸ أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، مصنف عبد الرزاق، ج 2 ص 582.

⁶⁹ نفس المرجع، ج 2 ص 600

⁷⁰ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ج 22 ص 20 .

- ثانياً: تذكر عظمته
- ثالثاً: تذكر اليوم الآخر
- رابعاً: أن يجاهد نفسه في كتم الضحك
- خامساً: ألا يكثر من مخالطة الشخصيات الهزلية
- سادساً: أن يساعده أصحابه على ذلك، لا يقولون: يا فلان، ما هي آخر نكتة؟ وأطرفنا، أو أضحكنا، وماذا عندك اليوم؟ بل عليهم أن يساعده على أن يكون جاداً.

و (مواقف من ضحك الصحابة

ومما حصل للصحابة أيضاً من المناسبات التي ضحكوا فيها، وهو ضحك يدل على معنى، ويدل على

مغزى، وله فائدة⁷¹:

(1) ما جاء في صحيح مسلم في كتاب الحج، قال زيد بن ثابت لابن عباس :

تُفتي أن تصدر الحائض قبل أن يكون آخر عهدا بالبيت ؟ - أنت يا ابن عباس

تفتي أن الحائض تعود دون طواف الوداع ؟- فقال: إن لم تصدق فسل فلانة

الأنصارية: هل أمرها بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: فرجع زيد بن

ثابت إلى ابن عباس يضحك، وهو يقول: ما أراك إلا قد صدقت، أي: تعجب

منه رغم صغره كيف أصاب الحق! أو أنه كان يقول: كلامك صحيح وأنا لم أكن أعلم به⁷².

(2) وكذلك ما كان من ضحك بعض الصحابة الذين يحدثون بأحاديث من عجلة بعض طلابهم: قلنا: يا أبا سعيد، جئناك من عند أخيك أنس بن مالك فلم نر مثلما حدثنا في الشفاعة، فقال: هي هي - أي: هاتوا الحديث، ما الذي فعل؟- قالوا: فحدثناه بالحديث، فانتهى إلى هذا الموضع، فقال: هي هي، فقلنا: لم يزد لنا على هذا، فقال: لقد حدثني وهو جميعٌ منذ عشرين سنة فلا أدري أنسي أم كره أن تتكلموا، قلنا: يا أبا سعيد! فحدثنا، فضحك وقال: خلق الإنسان عجولاً ما ذكرته إلا وأنا أريد أن أحدثكم، وحدثهم بالحديث⁷³.

(3) ولما استغرب بعض الناس من عائشة لما قالت: كنا نرفع الكراع فنأكله بعد خمسة عشر يوماً - يدخرون الكراع إلى وقت الجوع - قيل: ما اضطرركم إليه؟ فضحكت - لعدم تصورهم للموقف - قالت: ما شبع آل محمدٍ صلى الله عليه وسلم من خبز برٍ مَادومٍ ثلاثة أيام حتى لحق بالله⁷⁴.

⁷²مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي: بيروت، دون السنة، ج 2 ص

⁷³بدر الدين العيني الحنفي، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج 36 ص 186.

⁷⁴شرح البخاري لابن بطلال، ملف وورد أهداه بعض الأخوة للبرنامج، المكتبة الشاملة، ج 18 ص 105.

(4) وهذه فاطمة رضي الله عنها بكت وضحكت، أسر لها النبي عليه الصلاة والسلام حديثاً فبكت لما أخبرها أن أجله قريب، وضحكت لما أسر لها أنها سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء أهل الجنة، وأنها أول أهل بيته لحوقاً به، فضحكت فرحاً رضي الله عنها⁷⁵.

(5) وحدثت عائشة رضي الله عنها ذات مرة بحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل بعض نساءه -أبهمت- ويخرج إلى الصلاة بدون أن يتوضأ، فقيل لها: ما هي إلا أنت هذه المرأة -التي أبهمتها هي أنت- فضحكت عائشة رضي الله عنها) والحديث رواه أبو داود وهو حديثٌ صحيح⁷⁶.

(6) وكذلك ما حصل من ضحك الصحابة لما رأوا حماراً وحشياً وهم محرمون ومعهم أبو قتادة غير محرم، قال أبو قتادة: فنظرت فإذا أنا بحمارٍ وحشي، فحملت عليه فطعنته فأصيبته واستعنت بهم أن يمسكوه معي فأبوا أن يعينوني فأكلنا من لحمه معاً.. إلخ (وقد عنون له البخاري، فقال: بابٌ إذا رأى المحرمون صيداً فضحكوا ففطن الحلال، أي: أن المحرم إذا نبه الحلال بالضحك أو التبسم على صيدٍ موجود لم يره الحلال، فصاده الحلال فأكل منه المحرم فلا بأس بذلك⁷⁷).

⁷⁵ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري 6، ص 179.

⁷⁶ نفس المرجع.

⁷⁷ ابن قتيبة الدينوري، تأويل مختلف الحديث، المكتبة الشاملة، ج 1 ص 93.

(7) ومن المواقف الطريفة التي حصلت في السنة: ما جاء في صحيح مسلم في كتاب الأشربة: لما كان النبي عليه الصلاة والسلام والمقداد وآخر -ثلاثة- مشتركين في إناءٍ من لبنٍ يجلب لهم فيشرب كل واحد منهم الثلث، يقول المقداد : فأتاني الشيطان ذات ليلة وقد شربت نصيبي، فقال: محمدُ يأتي الأنصار فيتحفونه، ويصيب عندهم، ما به حاجة إلى هذه الجرعة، فأتيتها فشربتها -قضى على نصيب النبي صلى الله عليه وسلم- فلما أن وغلّت في بطني وعلمت أنه ليس إليها سبيل، قلت: ندمني الشيطان -هكذا الشيطان يفعل، يسول القضية ثم يندم الشخص على الوقوع فيها، فقال: ويحك! أشربت شراب محمدٍ فيحيء فلا يجده فيدعو عليك فتهلك، فتذهب دنياك وآخرتك، وعلي شملةٌ إذا وضعتها على قدمي خرج رأسي، وإذا وضعتها على رأسي خرجت قدماي وجعل لا يجيئني النوم، وأما صاحباي فشربا نصيبهما وناما، ولم يصنعا ما صنعت، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فسلم كما كان يسلم، ثم أتى المسجد فصلى، ثم أتى شرابه فكشف عنه فلم يجد فيه شيئاً، فرفع رأسه إلى السماء، فقلت: الآن يدعو عليّ فأهلك، فقال) : اللهم أطعم من أطعمني واسق من سقاني (قال: فعمدت إلى الشملة فشددتها عليّ وأخذت الشفرة وانطلقت إلى الأعنز أيها أسمن فأذبحها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هي حافل وإذا هن حفلٌ كلهن، ووجدتها كلها مليئة فعمدت إلى إناءٍ لأهل محمدٍ صلى الله عليه وسلم ما كانوا يطمعون أن

يحتلبوا فيه⁷⁸، فحلبت فيه حتى علتة رغوّة -امتلاء- فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أشربتم شرابكم الليلة؟ قال: قلت: يا رسول الله! اشرب فشرب ثم ناولني، فقلت: يا رسول الله! اشرب فشرب ثم ناولني، فلما عرفت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد روي وأصبت دعوته ضحكت حتى ألقيت على الأرض، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إحدى سوءاتك يا مقداد (...)! الحديث. فيكون هذا لو حصل مثل هذا الأمر الذي لا يتمالك فيه الإنسان نفسه، وهو خلاف الأولى أن يحدث، لكنه لم يكن في هذه الحالة يرتكب أمراً محرماً⁷⁹.

5. الأدب في الكلام مع الآخر

و أما بالنسبة لآداب الكلام والمحادثة فإنها كثيرة، فقد جاءت بها الشريعة مما يدل على أهمية هذا الموضوع، وعلى خطورته، وأنه معتنى به في الشريعة غاية الاعتناء، ومكمل غاية التكميل .

(1) خفض الصوت

فمن أدب الكلام والمحادثة: خفض الصوت، قال الله تعالى في وصية لقمان لابنه :
﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ لقمان:19, فلا شك أن رفع الصوت مزعج للسامع، ومثير لأعصابه، وهو ينبئ عن قلة الأدب، إلا إذا دعت الحاجة إلى

⁷⁸محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية،

(1993 - 1414 ج 12 ص 22).

⁷⁹مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ج 3 ص 1625.

رفع الصوت كالخطيب الذي يخطب للناس؛ فإن النبي عليه الصلاة والسلام كان إذا خطب علا صوته واحمر وجهه؛ كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم .
كذلك إذا خاف ألا يسمع أحد تحذيراً مهماً أو علماً مهماً؛ فإنه يرفع صوته، كما رفع صوته صلى الله عليه وسلم لما تفرقوا وكانوا يتوضعون، وبعض الناس لم يهتم بغسل عقبه، رفع صوته صلى الله عليه وسلم فقال: ويل للأعقاب من النار⁸⁰ (فيتبين أن رفع الصوت للحاجة مهم في بعض الأحيان ويكون مطلوباً، لكن غالباً في المحادثة مع الناس في المجالس كالأحاديث الفردية والثنائية والجماعية لا بد أن تكون بصوت منخفض.

(2) البعد عن الثرثرة والتشدد

وكذلك ينبغي أن يكون المتكلم بعيداً عن الثرثرة والتشدد وتكلف الفصاحة، فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي عن جابر: إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة: الثرثارون، والمتشددون، والمتفيهقون. قالوا: يا رسول الله! ما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون (وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح -أيضاً-) -سيكون رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام، ويشربون ألوان الشراب، ويلبسون ألوان الثياب، ويتشددون في الكلام، فأولئك شرار أمتي (وقال -أيضاً- في الحديث الصحيح): سيكون قوم يأكلون

⁸⁰عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، سنن الدارمي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، (1407، ج 1 ص 192).

بألسنتهم كما تأكل البقر من الأرض⁸¹، (وجاء وصفهم -أيضاً- بهذه الصفة القبيحة في الحديث الصحيح الآخر): إن الله تعالى يبغض البليغ من الرجال، الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها (الباقرة: أي: البقرة، ومعنى هذا أنه يتشدد بالكلام ويفخم به لسانه ويلفه كما تلف البقرة الكلاً بلسانها لفاً⁸²، وهذا فيه تنبيه على التكلف والتنطع وتكلف الفصاحة، وهو نوع من التععر، وهو أيضاً من الثثرة، وكتابة عن التباهي والاستطالة، فالألفاظ عند هذا الرجل في المرتبة الأولى والمعاني بعد ذلك، فهو لا يحسب حساب المعنى، وهو -أيضاً- يتكلف لك ويلوي لسانه لياً كما تلف البقرة الكلاً بلسانها لفاً، فإذا لا بد من ترك التكلف وأخذ الأمور بالطبيعة والسجية مع انتقاء الكلمات وجودة المعنى.

(3) الإنصات للمتكلم

ومن آداب الكلام: الإنصات، وخصوصاً عندما يكون الشخص الآخر يقرأ كلام الله، فقد قال الله عز وجل ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الأعراف:204)، ومن الأشياء والمواضع التي يتأكد الإنصات فيها إذا تكلم أهل العلم، وعلى رأسهم -لا شك- النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولذلك الصحابة بأدبهم مع النبي عليه

⁸¹ سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، مكتبة العلوم والحكم - الموصل، الطبعة الثانية - 1404 ،

، (1983 ج 8 ص 107).

⁸² بارع عرفان توفيق، كنوز السنة النبوية، المكتبة الشاملة، ج 1 ص 161.

الصلاة والسلام في الإنصات لقوله؛ عظمت مكانة النبي عليه الصلاة والسلام في نفوس الكفرة؛ نتيجة التطبيق العملي للإنصات⁸³.

(4) الإخلاص في الكلام

ومن آداب الكلام: أن الإنسان لا يتكلم إلا إذا كانت الكلمة يراد بها وجه الله؛ لأنه قد يتكلم إظهاراً لعلمه، أو معرفته أو فصاحته وبيانه، أو استئثاراً بالمجلس، أو ترفعاً عن الخلق، أو إيذاءً للآخرين، أو حباً للظهور وترأساً للمجلس.. هذه من بواعث الكلام، فينبغي أن يكون الباعث لله، لا يتكلم إلا بما يرضي الله؛ ولذلك الإنسان المسلم يترك الكلام إذا فكر أن في تركه إرضاءً لله، وأن الإخلاص ألا يتكلم، وإذا دعت نفسه للكلام لهوى فليصمت، وإذا دعت له للصمت لهوى فليتكلم⁸⁴.

ولا يجوز له مع ذلك أن يسكت عن تعليم جاهل أو تنبيه غافل، أو أمر بالمعروف أو نهي عن المنكر، فهو لا يزال يمشي بين تلك الضوابط.

(5) مخاطبة الناس على قدر عقولهم

ومن آداب الكلام: أن الإنسان إذا كلم قوماً فإنه يبتغي درجة من الكلام تبلغها عقولهم ويفهمونها، ولا يخاطبهم بالصعب الذي لا يدركون معناه، ولا بغريب الكلام الذي لا يفهمونه، وحتى إذا انتقى أشياء من العلم ينتقى الأشياء الأساسية الواضحة السهلة التي تتقبل،

⁸³ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج 6 ص 205.

⁸⁴ نفس المرجع، ج 6 ص 225.

ويترك الأشياء التي قد ينفر منها الناس لغرابتها عندهم، مع أنها قد تكون من الدين، لكن إذا أدى عرضها إلى تكذيب الله ورسوله، كما يفعل بعض العامة إذا عُرِضَ عليه شيء غريب جداً قالوا: هذا ليس حديثاً، ولا يمكن أن يقول النبي عليه الصلاة والسلام كلاماً مثل هذا، فيؤدي به إلى تكذيب الله ورسوله؛ فعليه أن يجتنبها.

ولذلك قال علي - كما روى البخاري تعليقاً: حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟ (وهذا شيء يهمل الخطباء والدعاة إلى الله عز وجل⁸⁵).

6) الترسل والتؤدة في الكلام

ومن آداب الكلام: أن يترسل فيه ترسلاً، ويكون في أثناء أدائه على تؤدة وعلى تمهل ليفهم ويحفظ، فقد روى الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدث حديثاً لو عدّه العاد لأحصاه⁸⁶ (لو أن أحداً يعد عند النبي عليه الصلاة والسلام لاستطاع أن يعد الكلمات أو المفردات أو الحروف، ويطبق ذلك ويبلغه إلى آخر الحديث، والمراد بقولها رضي الله عنها: المبالغة في الترتيل والتفهم، وأن النبي عليه الصلاة والسلام كان يرتل كلامه، وليس المقصود أن يلحنه.. وإنما يتأني فيه).

وروى أبو داود - رحمه الله تعالى - عن عائشة قالت: كان كلامه صلى الله عليه وسلم كلاماً فصلاً - مفصلاً بين أجزائه و واضحاً - يفهمه كل من سمعه (وعند أبي داود - أيضاً -

⁸⁵ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، (1987 - 1407 ج 1 ص 59).

⁸⁶ عبدالله بن الزبير أبو بكر الحميدي، مسند الحميدي، دار الكتب العلمية، مكتبة المتنبّي - بيروت، القاهرة، ج 1 ص 120.

في الحديث الصحيح) : كان في كلامه صلى الله عليه وسلم ترتيل أو ترسيل⁸⁷، (والترتيل: هو التآني والتمهل في تبين الحروف والكلمات، وهو والترسيل بمعنى واحد. إذاً كان في عرض كلامه عليه الصلاة والسلام ترتيل وترسل وتآني، لكنه ليس بطئاً شديداً ينفر السامع؛ لأن بعض الناس عندهم بطء شديد في الحديث؛ بحيث أن السامع ينفر من سماعه.

(7) إعادة الكلام المهم وتكراره

ومن آداب الكلام: إعادة الكلام المهم الذي يصعب على بعض الجالسين فهمه من أول وهلة أو لأول مرة، وهذا معنى قول أنس - رضي الله عنه - في حديث البخاري) : كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه⁸⁸.
 فإذاً الإعادة لغرض التفهيم، فإذا فهمت لا يحتاج إلى إعادة، وإنما الإعادة للتفهم. وكذلك فإن الإعادة أقصاها ثلاث مرات، وقد جاء في الشريعة في أشياء كثيرة أن الغاية ثلاث مرات، فلا استئذان ثلاثاً، والطلاق ثلاثاً، وهنا يعيدها ثلاثاً؛ لكي يبلغ بها الغاية⁸⁹.

(8) الإقبال على المتحدث بالوجه

وكذلك الإقبال على المتحدث بالوجه، وعند قيام المصلي في الصلاة فإنه لا يلتفت يميناً ولا شمالاً، ولا يرفع رأسه إلى السماء؛ لأن الله قبالة وجه العبد في الصلاة، إذا قام المصلي يصلي

⁸⁷ سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو، الأزدي أبو داود، السجستاني، سنن أبي داود، المكتبة الشاملة، ج 14 ص 106.

⁸⁸ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، ج 1 ص 48.

⁸⁹ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج 4 ص 435.

ينصب الله وجهه لوجه عبده المصلي ما لم يلتفت، فإذا التفت أعرض الله عنه، وكذلك فإن الناس في حال الخطبة يلتفتون بوجوههم إلى الخطيب كما قال الصحابة في وصف حالهم مع النبي عليه الصلاة والسلام): إذا خطب التفتوا بوجوههم إليه⁹⁰.

9) تقديم الأكبر والأفقه في الكلام

وكذلك من آداب الكلام: تقديم الأكبر، فإن الناس قد يجتمعون في مجلس أو يأتي وفد يريد الكلام، فالذي يتكلم هو الأكبر إذا كان عارفاً بأصول الكلام فقيهاً، فمن الأدب أن يبدأ الأكبر، وتوقير الكبير من أصول الأدب في الشريعة؛ ولذلك قال الإمام البخاري - رحمه الله - في كتاب الأدب: باب إكرام الكبير، ويبدأ الأكبر بالكلام والسؤال. وهذا قد جاء النص عليه والأمر به والإنكار على من خالفه في الحديث الصحيح، وهو حديث عبد الله بن سهل ومحبيصة بن مسعود) أنهما أتيا خيبر فتفرقا في النخل، فقتل عبد الله بن سهل، فجاء عبد الرحمن بن سهل - أخو القتيل - وحويصة ومحبيصة ابنا مسعود، إلى النبي عليه الصلاة والسلام فتكلموا في أمر صاحبهم القتيل، فبدأ عبد الرحمن وكان أصغر القوم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: كبر الكبرى، كبر الكبرى. قال يحيى: أي: ليل الكلام الأكبر فالأكبر هو الذي يتولى الكلام ويبدأ به، فتكلموا في أمر صاحبهم، وفي رواية): كبر كبر (قال): فذهب عبد

⁹⁰عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بھرام الدارمي، التميمي، أبو محمد، سنن الدارمي، المكتبة الشاملة، ج1 ص 499.

الرحمن يتكلم وكان هو أصغر القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: كبر كبر، وهو أحدث القوم فسكت فتكلما⁹¹).

(10) عدم المقاطعة في الحديث

وكذلك من أدب الكلام والحديث: عدم مقاطعة حديث الناس، فإذا دخلت على أناس يتكلمون فلا تقطع حديثهم، فإن قطع الحديث مخالف للأدب، وقد جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس قال: حدثت الناس كل جمعة مرة، فإن أبيت فمرتين، فإن أكثرت فثلاث مرار، ولا تمل الناس هذا القرآن، ولا ألفتينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم، فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم فتملهم -أي: لا تأت تعظ القوم وتعلمهم وهم يتحدثون بحديث فتقول لهم: اسكتوا، أنصتوا، أو عندي كلام، وعندهم حديث يتحدثون به، ولكن أنصت - ثم قال ابن عباس - وهو يُعلم الوعاظ والدعاة -: فإذا أمروك فحدثهم) أي: إذا قالوا لك: حدثنا أو ذكرنا أو عظنا يا فلان، فحدثهم؛ لأنك إذا حدثتهم بناءً على طلبهم؛ فإن الحديث يكون أشهى لهم، وأكثر موقعاً في نفوسهم من أن تبادئهم أنت وتطلب الإنصات⁹².

⁹¹ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ج22 ص 400.

⁹² محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، ج5 ص 2334.

